الفصل الخامس

أربعة مساجد من العصر الفاطمى

١ — مسجد الجيوشى.

٢ — مسجد الأقمر.

٣ — مسجد السيدة رقية.

٤ — مسجد الصالح طلائع.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الخامس

أربعة مساجد من العصر الفاطمى

١

مسجد الجيوشى

يرتقى مسجد الجيوشى تلال المقطم فى منطقة كانت عند إنشائه خارجة عن حدود القاهرة. وتعلو مدخل هذا المسجد لوحة من الرخام نقش عليها بالحروف الكوفية نص من خمسة سطور فيه آيتان من القرآن الكريم وسجل بتاريخ المسجد، يقرأ فيه «مما أمر بعمارة هذا المشهد المبارك[١] فتى مولانا وسيدنا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الأئمة الطاهرين وأبنائه الأكرمين وسلم إلى يوم الدين، السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين، عضّد الله به الدين، وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين، وأدام قدرته وأعلى كلمته، وكيّد عدوه وحسدته، ابتغاء مرضاة الله، فى المحرم سنة ثمان وسبعين وأربع مائة»، / مايو ١٠٨٥م[٢].

---

(١) يدعى (كريسويل) أن النص المنقوش جاء فيه لفظ «الزاوية» فى الموضع الذى يقرأ فيه «المشهد» ولعل جهل (كريسويل) باللغة العربية هو الذى أوقعه فى هذا الخطأ.

(it is called "Zawiya" in the inscription over the entrance).

انظر صفحة ١٥٥ من الجزء الأول من كتاب «العمارة الإسلامية فى مصر».

(٢) كان (برشم) قد قرأ التاريخ خطأ (محرم سنة ٤٩٨هـ) ونشره فى مقاله «مسجد من عهد الفاطميين»، صفحة ٦٠٦:

Van Berchem, Max; *Une Mosquee du temps des Fatimides*, Mémoires de l'Institut d'Egypte, Tome II, pp. 606-619, 1889.

ولكن (برشم) عاد فصحح التاريخ (محرم سنة ٤٧٨هـ) فى صفحة ٥٤ من «موسوعة النقوش العربية» التى نشرها فى سنة ١٨٩٤م.

و «خادم مولانا» المشار إليه في هذا النص هو بدر الجمالي الذي توفي بعد بنائه لهذا «المشهد» بتسع سنوات. وقد جاء ذكر هذا المسجد مرة واحدة في أخبار مصر لابن ميسر[1]، ولم يشر إليه، فيما نعلم، غيره من المؤرخين القدامى.

وقد أنشأ بدر الجمالي مسجدًا آخر في جزيرة الروضة، كان يطلق عليه جامع المقياس[2]، ولكن هذا الجامع هدم في سنة ١٨٣٠م، ويتبقى وصف له ولتخطيطه في مجموعة وصف مصر[3]. وكانت بهذا المسجد ثلاثة نصوص منقوشة بالخط الكوفي مع لوحات رخامية بها تاريخ إنشائه[4].

وتخطيط مسجد الجيوشي يفصح عن الغاية من إنشائه مشهدًا، شكل (١٤)، وهو أول مسجد معروف في القاهرة كان يضم ضريحًا[5]. وينحصر تخطيطه في مستطيل طوله ٢٢ مترًا ونصف المتر، وعرضه ١٧ مترًا. ويحتل بيت الصلاة أكثر من نصف هذه المساحة. وفيه أسكوبان، يتكون كل منهما من ثلاثة مربعات. أما أسكوب المحراب، فطول جدار القبلة فيه ١٣ مترًا، وعرضه أربعة أمتار ونصف المتر، وتمتد فيه ثلاثة عقود في موازاة هذا الجدار. قائمة على دعامتين كما يمتد فيه عقدان عموديان على هذا الجدار، واحد عن يمين المحراب وآخر عن يساره يقسمان الأسكوب إلى ثلاثة مربعات، ويقوم كل منهما كذلك على دعامتين. واحدة تلتصق بجدار القبلة، والأخرى تلتصق بدعامة من دعامتي العقد الموازي لهذا الجدار. وينتصف المحراب جدار القبلة، وتتقدمه قبة قائمة

---

(١) انظر صفحة ٥٩ من كتاب «أخبار مصر» لمؤلفه ابن ميسر (محمد بن علي بن يوسف بن جلب، المتوفى سنة ٦٧٧هـ / ١٢٧٥م، نشره (هاسيه)، القاهرة، سنة ١٩١٩م — من مطبوعات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية.

(٢) أشار المقريزي إلى هذا المسجد في «الخطط»، ولكن طبعه بولاق ظهرت خلوًا من هذه الإشارة، تنظر صفحة ٢٩٠ من الجزء الثاني. وقد أشار المقريزي في صفحة ٢٩٧ من هذا الجزء الثاني إلى مسجد آخر كان يطلق عليه «جامع الروضة». وقد خلط (كريسويل) بين إشارتي المقريزي إلى هذين المسجدين، في صفحتي ٢١٧، ٢١٩ من الجزء الأول من كتابه المشار إليه أعلاه.

(٣) نشر هذا وصف في سنة ١٨١١م في صفحات ١٥٦ إلى ١٥٨ من الجزء الثاني من كتاب «وصف مصر» Description oeln de l'egypte. Etat Moderne. وأعيد طبع هذا الوصف في صفحات ٣٣٧ إلى ٣٤٠ من الجزء السابع من منشورات المعهد المصري: Mémoires de l'Institut l'Eqypte, Tome VII.

(٤) جاء في نقوش إحدى هذه اللوحات ما نصه:

«نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين مما أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك قبلة السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو النجم بدر المستنصري عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته في رجب سنة خمس وثمانين وأربع مئة».

(٥) إلا أن صح أن مسجد اللؤلؤة كان يضم ضريحًا، فيكون الأول من نوعه، انظر فيما سبق.

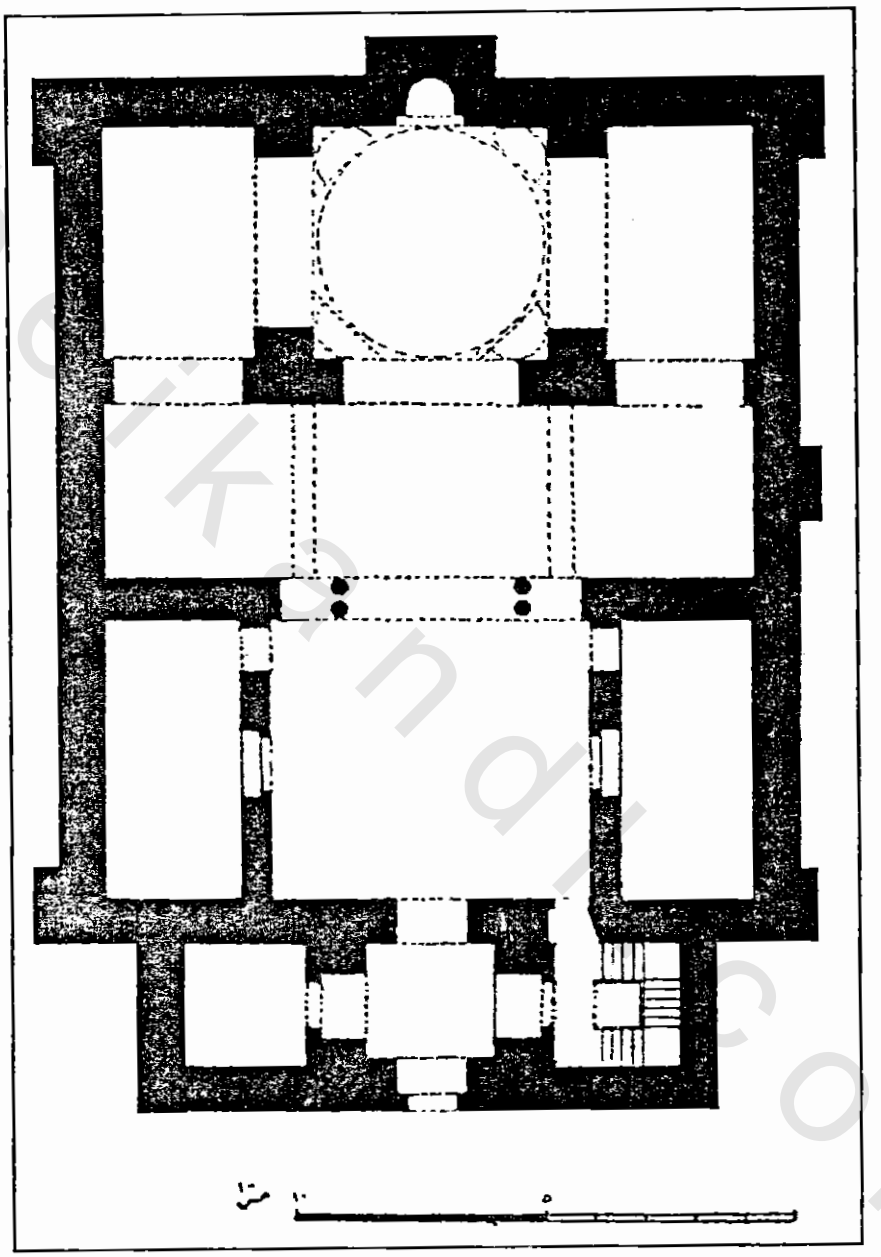

شكل (١١) – رسم تخطيطى لمسجد انجيوشى

على المربعة الوسطى من أسكوبه. والأسكوب الثانى أضيق مساحة من الأول، إذ يقل عرضه عن ثلاثة أمتار ونصف المتر، وينقسم كذلك إلى ثلاثة مربعات، تطل المربعة الوسطى منها على الصحن بعقد كبير أوسط يرتكز من كل جانب على عمودين متجاورين، ويحف به من كل جانب كذلك عقد صغير، يرتكز من ناحية على الجدار، ومن ناحية أخرى على هذين العمودين. أما المربعتان المتطرفتان من هذا الأسكوب فلا تطلان على الصحن، وسدت حدودهما الشمالية بقطاع من جدار.

والصحن مستطيل قريب من المربع، طوله ستة أمتار ونصف المتر، وعرضه أقل من ذلك متر، وليس له مجنبات، وإنما أقيمت على كل من جانبيه قاعة مستطيلة. وليس للصحن مؤخر أو على الأصح أقيم مدخل المسجد محل مؤخره. وهو مدخل بارز من ثلاثة أقسام، وسطها ممر، فتحت عن يمينه قاعة بها أدراج السلم الذى يؤدى إلى سطح المسجد ومئذنته، وفتحت قاعة أخرى عن يساره، وهى قاعة مسقوفة مغلقة. أما الممر الذى يعبره الداخل من باب المسجد فيؤدى إلى الصحن.

بنيت جدران مسجد الجيوشى من الحجارة، لوحة رقم (٣٣)، أما ماعداها من عقود وسقف وقبة ومئذنة فقد بنى من الآجر. وعقود المسجد أنواع. منها العقد المدبب المنفوخ، وهو العقد الكبير المطل على الصحن من بيت الصلاة، لوحة رقم (٣٦)، يزداد الدبب فيه عن الانتفاخ وضوحًا. أما العقدان الصغيران اللذان يحفان بهذا العقد فيزداد الانتفاخ فيهما وضوحا عن الدبب. ويحمل هذه العقود عمودان مزدوجان صنعا من الرخام، ولكل منهما تاج ناقوسى على هيئة مشكاة، وقاعدة على شكل مقلوب لهذا التاج. وليس بالمسجد أعمدة غير هذه الأعمدة الأربعة.

وعقود بيت الصلاة منفرجة، انبطحت أكتافها أو انفرجت، وامتدت أطرافها واستقامت، واندمجت فى الدعامات التى تمتطيها هذه الأطراف، من غير حدارة أو حدود، تبين بداية الأطراف ونهاية الدعامات، لوحة رقم (٣٥). وترتفع قمة هذه العقود ستة أمتار فوق سطح الأرض. وهى تحصر بينها وبين الجدران سقفًا مبنية من الآجر، على هيئة قبوات متداخلة. وسقفت القاعتان اللتان تجاوران الصحن بالآجر، وعلى كل منهما قبوة نصف أسطوانية الشكل.

وتعلو مربعة المحراب قبة ترتفع قمتها اثنى عشر مترا فوق الأرضية. وترتكز القبة على عقود من ثلاث جهات وعلى جدار القبلة من الجهة الرابعة، لوحة رقم (٣٤). وقاعدة القبة مربعة يحدها إطار عريض من الكتابة الكوفية، وتمتطى أركانها أربعة مقرنصات معقودة، وعقودها منفرجة، لوحة رقم (٣٧ أ). وفتحت بين المقرنصات نوافذ، نافذة فوق كل عقد من العقود الثلاثة التى ترتكز عليها القبة، وشكلت طاقة صماء فى مستوى هذه النوافذ وعلى هيئتها، فى جدار القبلة، فوق المحراب. وعقود النوافذ والطاقة منفرجة مثل عقود المقرنصات.

وتعلو الطابق الأول المقرنص من القبة رقبتُها، وهى طابق ثان مثمن مثل الطابق الأول، فتحت فى كل ضلع من أضلاعه نافذة معقودة، مدببة العقد، شبه منفرجة. وتستدير القبة فوق هذه الرقبة فى شكل

نصف كرة ملساء، وتتوسط قمتها من الداخل دائرة نقش فى مركزها اسما (محمد وعلى) بالخط الكوفى، وأحاطت بهما حلقة نقشت عليها آيات قرآنية كريمة بالخط الكوفى المزهّر.

وللمسجد محراب مجوف ينحصر فى مستطيل زخرفى، لوحة رقم (٣٤، ٣٧ب)، ويتوج المحراب عقد منفرج كان يرتكز طرفاه على عمود من كل جانب. وقد نقش المحراب وعقده وإطاره جميعًا زخرفة جصية بديعة.

وللمسجد مئذنة تعلو مدخله، لوحة رقم (٣٨)، وترتفع عشرين مترًا فوق سطح الأرض. وهى تتكون من ثلاثة طوابق مدرجة ،يرتفع الطابق الأول ثمانية أمتار فوق سطح المدخل، وهو مربع ،فتحت نافذة فى كل من واجهتيه الشرقية والغربية، وينتهى بإطار بارز من طاقات مقرنصات زخرفية، وهذه الطاقات هى أقدم مثال معروف من نوعها فى العمارة الإسلامية بمصر، وقد أرجأت الحديث عنها إلى الفصلين السابع والثامن فيما بعد. والطابق الثانى مربع كذلك يرتفع مترين ونصف المتر فوق الطابق الأول، وفتحت نافذة معقودة بعقد مدبب فى كل من واجهاته الأربع. أما الطابق الثالث فهو مثمن الأضلاع وارتفاعه متر ونصف المتر، منحت كذلك فى كل ضلع من أضلاعه نافذة مدببة العقد، ويتوج المئذنة قبة نصف كروية، بنيت هى وطوابق المئذنة الثلاثة من الآجر.

تركزت زخرفة مسجد الجيوشى فى محرابه وفى قبة هذا المحراب. ولاشك فى أن جميع المسطحات التى كانت تحيط بمعرفة المحراب وبطوابق القبة كانت مكسوة بالزخارف المنقوشة على الجص. ولاشك كذلك فى أن ما تبقى من هذه الزخارف على مسطحات جدار القبلة، فى الإطار المحيط بالمحراب، وتحت القبة، فى مقرنصاتها وفى الإطار الكوفى المحيط بقاعدتها، يعتبر دليلاً كافيًا على انتشار الزخرفة فى أرجاء هذا المسجد، لوحة رقم (٣٤)، وأكثر عناصر هذه الزخرفة إبداعًا هى الإطارات الخطية الكوفية التى امتدت عليها الآيات القرآنية مسطورة فوق ستائر نثرت عليها الأزهار نثرًا حتى ملأت الفراغات بين الحروف، شكل (١٢). وأحاط بهذه الإطارات شرائط زخرفية ممتدة على جانبيها، وقد تنوعت زخارفها، ومنها شريط أحاط بإطار عقد المحراب، ورسم حلقة فوق قمته. وامتلأت توشيحتا العقد بزخارف من أشكال فواكه وأزهار وأوراق نباتية، لوحة رقم (٣٧ ب).

شكل (١٢) – ﴿ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝ ﴾ – سورة الفتح – آية ٢
آية كريمة منقوشة بالخط الكوفى على إطار من الجص فى مسجد الجيوشى

٢

مسجد الأقمر

رغب الخليفة الآمر بأحكام الله أن يبنى مسجدًا أمام قصر الخلافة، وطلب من وزيره المأمون بن البطائحى أن يشرف على بناء هذا المسجد، وكمل البناء فى سنة ٥١٩هـ / ١١٢٥م[١]. ويجرى على واجهة المسجد إفريزان من الكتابة الكوفية المنقوشة على الحجارة نقرأ فيهما «بسم الله الرحمن الرحيم، مما أمر بعمله.... فتى مولانا وسيدنا الإمام الآمر بأحكام الله بن الإمام المستعلى بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليهما وعلى آبائهما الطاهرين وأبنائهما الأكرمين، تقربًا إلى الله الملك الجواد آمين.... السيد الأجل المأمون أمير الجيوش سيف الإسلام وناصر الإمام، كافل قضاة المسلمين وهادى دعات (صحته دعاة) المؤمنين أبو عبد الله محمد الآمرى عضّد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته، فى سنة تسع عشرة وخمسمائة....».

ولم يكن هذا المسجد جامعاً، فقد سجل المقريزى أنه «لم تكن فيه خطبة لكنه يعرف بالجامع الأقمر»[٢].

وفى عهد السلطان برقوق، فى شهر رجب سنة ٧٩٩هـ / أبريل ١٣٩٧م، «جدده الأمير الوزير المشير الاستادار يلبغا بن عبد الله السالمى، أحد المماليك الظاهرية، وأنشأ بظاهر بابه البحرى حوانيت يعلوها طباق، وجدد فى صحن الجامع بركة لطيفة يصل إليها الماء من ساقية... ونصب فيه منبرًا، فكانت أول جمعة جمعت فيه رابع شهر رمضان من السنة المذكورة.... وبنى على جهة المحراب البحرى مئذنة، وبيض الجامع كله، ودهن صدره بلاز ورد وذهب... وجعل فوق المحراب لوحًا مكتوبًا فيه ما كان أولاً، وذكر فيه تجديده لهذا الجامع وسمى فيه نعوته وألقابه»[٣].

---

(١) انظر المقريزى، «الخطط»، جزء ثان، صفحة ٢٩٠.

(٢) انظر شرحه.

(٣) نص النقش على هذا اللوح هو «بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شىء قدير ﴾ (صحتها رحمة) سورة الروم – آية ٥٠ – أمر بعمل المنبر والمئذنة وغيره بعد اندراسه فى أيام مولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق حرس الله نعمته العبد الفقير إلى الله تعالى أبو المعالى عبد الله يلبغا السالمى الحنفى الصوفى. لطف الله به فى الدارين وجعله. . . فى شهر رمضان المعظم سنة تسع وتسعين وسبعمائة وكان بنى (صحته بناء) هذا الجامع فى أيام الخليفة الآمر بأحكام الله بن المستعلى بالله فى سنة تسع عشرة وخمسمائة من الهجرة النبوية».

و «هدمت المئذنة التى بناها السانى» بعد ستة عشر عامًا (١٤١٣ م)، وذلك «من أجل ميل حدث بها»[١]. وذكر الجبرتى أن سليمان أغا السلحدار جدد المسجد فى سنة ١٢٣٦هـ /١٨٢١م[٢].

وبنى الأهالى بيوتا ألصقوها بواجهة المسجد، ومازال بعضها قائمًا إلى اليوم، وأزيل البعض الآخر فى أوائل القرن العشرين، لوحة رقم (٣٩)، وجددت مصلحة الآثار الواجهة وأصلحت المسجد منذ سنوات. ويحتفظ المسجد على رغم هذه التجديدات بعناصره التخطيطية ومعظم عناصره المعمارية والزخرفية.

أقيم هذا المسجد على ناصيتى شارعين، فى ركن يشغل زاوية حادة، ولهذا كان تخطيطه ينحصر فى مستطيل غير منتظم الأضلاع من الخارج، شكل (١٣). ويبلغ طول الضلع القبلى من هذا المستطيل ٢٣,٥٠ مترًا، والشرقى ٣٧,٥٠، والغربى ٣١، والشمالى٢٠، ولكن حدود المسجد الداخلية ترسم مستطيلاً منتظم الأضلاع طوله ٢٨ مترًا وعرضه ١٧,٥٠.

ويشغل بيت الصلاة مساحة يمتد فيها جدار القبلة ١٧,٥٠، وجوفه ١٢,٥٠ مترًا. وينقسم هذا البيت إلى ثلاثة أساكيب، أكثرها سعة أسكوب المحراب، إذ إن عرضه خمسة أمتار، أما عرض كل من الأسكوبين الآخرين فهو ثلاثة أمتار فقط، وذلك مقاسًا بين الأعمدة. ويحد أسكوب المحراب، كما يحد كلا من الأسكوبين الثانى والثالث، بائكة من خمسة عقود موازية لجدار القبلة.ويمتد أسكوب المحراب فى وحدة كاملة، لا تخترقه عقود، ولا تقسمه أعمدة ولا دعامات إلى مربعات، ويتصل طرفه الشرقى بقاعة مستطيلة، عرضها ثلاثة أمتار، وطولها خمسة. ويتوسط المحراب جدار القبلة.

أما الأسكوبان الثانى والثالث فتخرقهما عقود متعامدة على عقود الأساكيب وتقسم كل منهما إلى خمسة مربعات.

وللمسجد صحن مكشوف مربع، طول كل ضلع من أضلاعه عشرة أمتار تقريبًا[٣]. وتطل عليه من كل جانب من جوانبه الأربعة بائكة من ثلاثة عقود ترتكز كل منها على عمودين منفصلين، فى الوسط، وعلى دعامتين مشتركتين، فى أركان الصحن. وهذه الدعامات الأربع هى الدعامات الوحيدة فى داخل المسجد، وفيما عداها ترتكز عقود المسجد، وعددها ٤٢ عقدًا، على أعمدة. وللصحن ثلاث مجنبات، بكل منها رواق واحد عرضه ثلاثة أمتار، ينقسم فى كل من المجنبتين الشرقية والغربية إلى ثلاثة فواصل، وفى مؤخر المسجد إلى خمسة. ويتخذ الفاصل الأوسط فى مؤخر المسجد ممرًّا لمدخل المسجد القائم فى مواجهة المحراب.

---

(١) انظر صفحة ٢٩٠ من الجزء الثانى من «الخطط للمقريزى».

(٢) انظر صفحة ٣١٨ من الجزء الرابع من «عجائب الآثار» للجبرتى.

(٣) ليس الصحن مربعًا تمامًا، فهو مستطيل طول قاعدته ١٠. ١٥ متر وضلعه ٩,٧٥ متر.

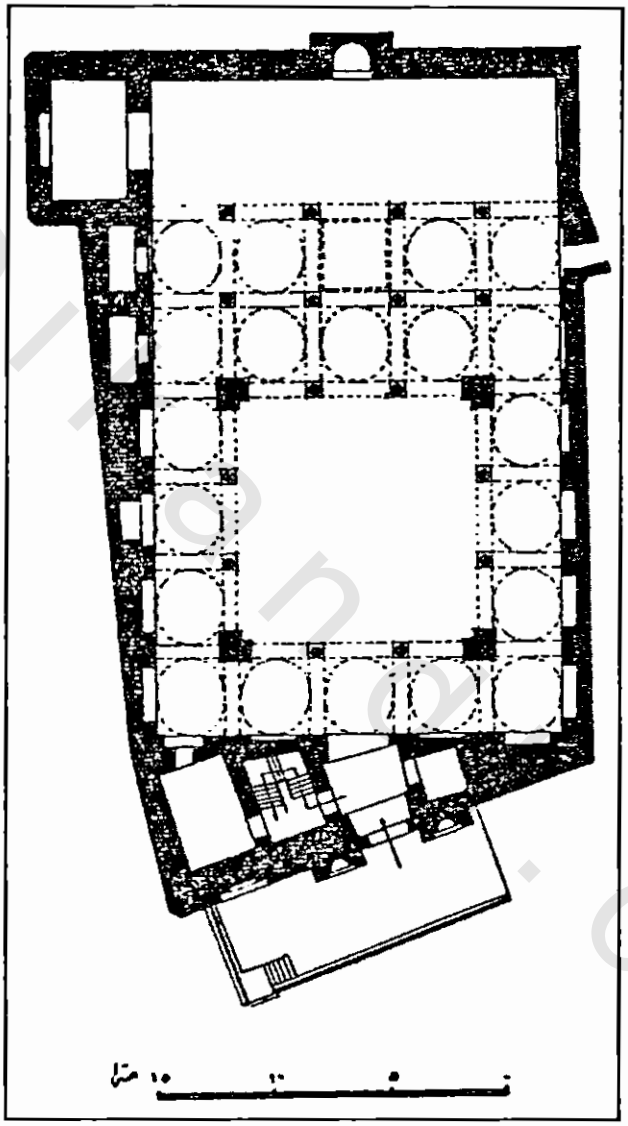

شكل (١٣) – رسم تخطيطى لمسجد الأقمر

وإذا كان تخطيط المسجد من الداخل منتظم الحدود، فإن أطرافه الخارجية غير منتظمة، ويلاحظ على هذا التخطيط أن واجهة المسجد الشمالية منحرفة، وليست فى موازاة جدار القبلة أو المؤخر، وذلك نتيجة التقاء الشارعين، اللذين أقيم المسجد على حافتيهما، فى زاوية حادة.وقد ملئ فراغ هذه الزاوية ببناء الواجهة والمدخل من ناحية، وإعداد ثلاث قاعات مستطيلة صغيرة، واحدة منها إلى يمين الداخل، والباقيتان إلى يساره. وتستخدم القاعة الأولى من هاتين القاعتين مرقاة للمئذنة.

ويبلغ عرض المدخل مترين، وهو يؤدى إلى ممر مسقوف طوله أربعة أمتار يتصل بمؤخر المسجد بزاوية منفرجة. وللمسجد مدخل آخر صغير فى واجهته الغربية يقابل الفاصل الأوسط من المجنبة الشرقية. وتجنبا للانحراف فى الجانب الشرقى للمسجد، جعلت فى الجدار من الداخل طاقات، أو تجاويف. تطل على رواق هذه المجنبة. وتزداد هذه الطاقات فسحة واتساعًا كلما اقتربت من جدار القبلة، وهنالك أقيمت، كما أشرت من قبل، قاعة مستطيلة. وقد روعى أن تفتح عن الداخل، فى الجدار الغربى، طاقات مواجهة لهذه الطاقات، متناسقة معها، ولكنها أصغر حجمًا.

رأينا من تخطيط المسجد أنه تمتد فيه عقود ترتكز فى أركان الصحن على أربع دعامات لوحة رقم (٤٢)، وأنها عدًا ذلك ترتكز على أعمدة. وعدد أعمدة المسجد ١٦، وقد جلبت من أبنية قديمة، فهى وتيجانها وقواعدها ليست من العمارة الإسلامية. ويبلغ ارتفاع هذه الأعمدة خمسة أمتار، بما فى ذلك القاعدة والتاج. وتعلو الأعمدة حدارات من ألواح خشبية تمتطيها العقود، لوحة رقم (٤٠). وعقود «الأقمر» منفرجة، فتحة حلقها ثلاثة أمتار، وارتفاعه يقرب من ذلك. وهذا أول مثل واضح لاستخدام مثل هذه العقود المنفرجة بانتظام فى البناء فى عمارة القاهرة، وقد رأينا أنها استخدمت من قبل فى محراب الجيوشى وفى مقرنصات قبته[1]. وتربط العقود أوتار خشبية مدت بينها فى منتهى أطرافها.

ويتكون كل من هذه العقود المبنية من الآجر من عقدين مزدوجين متتابعين، أحدهما خارجى متراجع، كأنه إطار للعقد الداخلى، لوحة رقم (٤٠). وكان إزار زخرفى من الكتابة الكوفية يزين حافة هذا العقد الخارجى، حول واجهات الصحن. وكان هذا الإزار يلتف حول العقود ويصل بين أطرافها، فكان إزارًا متصلاً حول واجهات الصحن الأربع. وتنتصف تواشيح العقود، على واجهات الصحن كذلك، جامات وردية مضلعة، لوحة رقم (٤٢).

---

(١) وكذلك استخدمت هذه العقود المنفرجة، قبل مسجد الجيوشى فى آثار فاطمية، مثل نوافذ القباب السبع ومحرابى إخوة يوسف والشيخ يونس.

انظر فيما بعد لاستيضاح أشكال العقود المنفرجة.

أما عقود بيت الصلاة وأروقة المجنبات فهى عارية من الزخارف، وتعلو مربعات المسجد فى بيت الصلاة وفاصل الأروقة، قبوات مبنية من الآجر على هيئة قباب، وأغلب الظن أن هذه القباب مجددة جميعًا، وليس فيها من العتيق شيئاً. أما سقف أسكوب المحراب فهى خشبية مسطحة.

وقد بنيت جدران المسجد وواجهته من الحجارة. وواجهة مسجد الأقمر هى أول واجهة لمسجد قائم بالقاهرة عنى ببنائها وزخرفتها، لوحة رقم (٣٩). وهى لا تقتصر على بوابة ولكنها تشمل واجهة المسجد كلها، أى جدار المسجد الشمالى، المقابل لجدار القبلة. وقد أقيم بناء حديث ملتصق بالجناح الأيسر لهذه الواجهة، وحاجب له، فلم يعد يرى منها إلا وسطها وجناحها الأيمن، أى الشمالى الشرقى.

بنيت هذه الواجهة كلها من الحجارة التى عنى بصقلها وصفها ورصها عناية فائقة. وقسمت الواجهة إلى ثلاثة أقسام، الأوسط منها بارز عن سمت الجدار ثلاثة أرباع المتر، وطوله سبعة أمتار. وفيه مدخل المسجد، وكانت تعلوه المئذنة التى بناها السائى فى سنة ٧٩٩هـ / ١٣٩٧م وهدمت فى سنة ٨١٥هـ / ١٤١٣م، وبنيت عوضًا عنها مئذنة فى عصر غير معروف، هدمت هى الأخرى، وبنيت فى موضعها مئذنة حديثة. وإلى يسار المدخل، كما كان إلى يمينه، جناح طوله ستة أمتار ونصف المتر، أى إن الواجهة كانت تمتد عشرين مترًا، ويبلغ ارتفاعها اثنى عشر مترًا.

ويتكون الجناح الأيسر الظاهر فى هذه الواجهة من طاقة صماء مستطيلة تتوسطه، وتتوجها طاقة معقودة بعقد مدبب، تحيط بحافته زخارف مقرنصة، وتملأ حشوته أضلاع مُشعة حول جامة مستديرة، لوحة رقم (٤٥ أ). ويحف بكتفى هذا العقد لوحة على شكل معين مزخرف من كل جانب. وكان يعلو قمة الطاقة المدببة، طاقة أخرى مستديرة، اندثرت زخارفها، ويحف بها، فوق المعينين لوحتان مستطيلتان، تنوعت زخارفهما وصيغت إحداهما على هيئة محراب، وهو المحراب (البحرى) الذى يشير إليه المقريزى فى الفترة التى نقلتها عنه، فى أول هذا القسم. وفى طرف هذا الجناح الأيسر، فى الركن الذى يصله بواجهة المسجد الشرقية قطع، أو شطف، لوحة رقم (٤٦)، ينتهى بهيئة عقد منفرج، ويحصر فى حشوته مقرنص من حطتين، طاقتان فى الخطة الأولى، تعلوهما طاقتان فى الخطة الثانية. وهذا أول مثل من نوعه فى العمارة الإسلامية.

وأما القسم الأوسط من الواجهة، لوحة رقم (٤٣)، وهو القسم البارز الذى يكوّن بوابة المسجد، فيتكوّن من ثلاثة أقسام رأسية، كل منها تنقسم إلى ثلاثة أقسام أفقية. وفى القسم الأوسط الرأسى فتح الباب، وهو مستطيل تعلوه عتبة من صنج من أنصاف دوائر معشقة. وتظهر هذه الصنج المعشقة هنا لأول مرة فى عمارة المساجد، وقد سبق أن ظهرت فى بوابتى النصر والفتوح. وتعلو هذه العتبة طاقة

كبيرة معقودة بعقد مدبب، تملأ حشوته أضلاع مشعة حول دائرة كبرى فى وسطها، بديعة الزخرفة. كأنها شمس ينبثق النور من حولها. وهذا أول مثل من نوعه كذلك فى عمارة القاهرة. وتتكون هذه الدائرة من أربع دوائر زخرفية. وتتوسط كل توشيحة من توشيحتى العقد دائرة محارية، أو شمسية.

وأما القسمان الرأسيان الجانبيان فهما متشابهان. أو على الأصح متعادلان: القسم الأدنى من كل منهما فيه طاقة مستطيلة مطولة يتوجها عقد على هيئة محارة، أو هو على هيئة شمس صغيرة مشعة. وتعلو هذه الطاقة، فى القسم الأوسط الأفقى، طاقة أخرى مربعة، حفرت عليها أشكال مقرنصات من أربع محطات متعاقبة، لوحة رقم (٤٤)، وهذا أيضا أول مثل من نوعه فى عمارة القاهرة، إذا استثنيت مقرنصات مئذنة مسجد الجيوشى، التى تتكون من حطتين وصنعت من الآجر لا من الحجارة، كما هى فى مسجد الأقمر. وتعلو هذه الطاقة المستطيلة طاقة أخرى على هيئة محراب، معقودة بعقد مدبب يرتكز على عمودين رشيقين. وتملأ حشوة العقد محارة، أو شمس صغيرة كأن الضوء ينبثق منها، لوحة رقم (٤٣).

وعلى واجهة الأقمر ثلاثة إزارات أفقية، تمتد عليها أفقيا من أولها إلى آخرها، وفيها كتابة كوفية. ويمتد الإزار الأول تحت مستوى عتبة الباب، ويمتد الثانى فوق مستوى هذه العتبة. أما الإزار الثالث فهو إزار عريض يمتد فوق الواجهة ويتوجها. ويستمر هذا الإزار فى امتداده حول الواجهة الشرقية للمسجد إلى مسافة تبلغ أحد عشر مترا.

والظاهرة الأولى للزخرفة فى واجهة مسجد الأقمر هى الإشعاعات من مركز يمثل الشمس فى أغلب الأحيان. و إذا اتجهت الأنظار إلى الطاقة الكبرى التى تعلو الباب، وكانت تتوسط الواجهة، لوحة رقم (٤٣)، لاحظت أنه يتوسطها فى دائرة صغيرة اسما محمد وعلى تحيط بها ثلاث حلقات، شكل (١٤)، نقش على الحلقة الوسطى منها بالخط الكوفى ما نصه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ سورة الأحزاب الآية ٣٣ وامتدت على الحلقتين الأخريين زخارف نباتية متماثلة. وكأنما أريد بهذه الشموس المضيئة أن تعبر عن قوله تعالى ﴿جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ سورة يونس الآية ٥. فقد كانت على هذه الواجهة وحدها سبعة أشكال لشموس مختلفة الأحجام، بل إن هذه الظاهرة، ظاهرة التعبير عن الضياء والنور لتزداد وضوحًا إذا دققنا النظر فى اللوحة العليا اليسرى من جناح الواجهة الأيمن فإنه يتضح أنها صيغت على هيئة محراب، كما أنه يشاهد فيها شكل مشكاة تتدلى من قمة المحراب، وكأنها ترتل قوله تعالى

﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ سورة النور الآية ٣٥. وهذه المشكاة، لوحةرقم (٤٥)، هى كذلك أول مثل زخرفى من نوعه فى عمارة القاهرة، بل وفى العمارة الإسلامية كلها. وبالإضافة إلى ذلك فإن واجهة الأقمر تحتوى على مجموعة من الزخارف الإسلامية المنوعة التى تجعل منها تحفة فنية فريدة فى عمارة القاهرة فى العصر الفاطمى، وسنعود إلى التحدث عنها فيما بعد.

شكل (١٤) – حلقة زخرفية على واجهة مسجد الأقمر

□□□

obeikandl.com

٣

مسجد السيدة رقية

يذكر المقريزى أنه كان فى شرقى «القرافة الصغرى» مسجد يسمى مسجد الأندلس، وروى أنه كان «يقال إنه بنى عند فتح مصر، وقيل بنى فى خلافة معاوية بن أبى سفيان، ثم بنته (جهة مكنون)، واسمها علم الآمرية، أم ابنة الآمر التى يقال لها ست القصور، فى سنة ست وعشرين وخمسمائة، على يدى المعروف بالشيخ أبى تراب»[١]. وروى صاحب الخطط فى صفحة أخرى أن (جهة مكنون) هذه هى التى بنت «مسجد الأندلس ورباطه ومسجد رقية»[٢].

وعثر أخيرًا على إزار منقوش بكتابة كوفية يدور حول رقبة قبة هذا المسجد جاء فيه بعد البسملة وثلاث آيات من القرآن الكريم[٣]، مانصه «وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وسلم تسليمًا كثيرًا فى شهر «ذو القعدة» سنة سبع وعشرين وخمسماية، وحسبى الله» (سبتمبر ١١٣٣م). وفى هذا المسجد كذلك تابوت خشبى عليه نقوش كتابية كوفية جاء فيها «هذا ضريح السيدة رقية بنت أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه. . . . أمر بعمل هذا الضريح المبارك الجهة الكريمة الآمرية التى يقوم بخدمتها القاضى مكنون الحافظى على يد السنى أبو تراب حيدرة بن أبى الفتح فرحم من ترحم عليه فى سنة ثلاث وثلاثين وخمسماية».

كما أنه كان بهذا المسجد محراب نفيس من الخشب نقل إلى المتحف الإسلامى بالقاهرة، فيه نقوش كتابية بالخط الكوفى نصها «مما أمر بعمله الجهة الجليلة المحروسة الكبرى الآمرية التى كان يقوم بأمر خدمتها القاضى أبو الحسن مكنون ويقوم بأمر خدمتها الآن الأمير السديد نصيف الدولة أبو الحسن بن الفائزى الصالحى برسم مشهد السيدة رقية ابنة أمير المؤمنين على».

---

(١) انظر «الخطط»، الجزء الثانى، صفحة ٤٤٦.

(٢) انظر شرحه، صفحة ٤٤٨.

(٣) سورة الأعراف، من قوله تعالى: ﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه﴾....(إلى قوله). . تبارك الله رب العالين﴾. الآيات ٥٢، ٥٣، ٥٤.

ويستدل من هذه النصوص التاريخية الثلاثة على أن أرملة من أرامل الخليفة الآمر شيدت مسجدًا في سنة ٥٢٧هـ / ١١٣٣م، وجعلت منه مشهدًا، وأن هذه الأميرة زوّدت هذا المشهد في سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٩م. بضريح للسيدة رقية، وبمحراب خشبي قبيل سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م[١].

وقد أهمل هذا المسجد فترة طويلة من الزمن إلى أن اعتنت به أخيرًا مصلحة الآثار (لجنة حفظ الآثار العربية سابقًا)، فأصلحته وأعادت بناء مدخله الحالي. ويحتفظ المسجد بمعظم عناصر بنيانه وزخرفته الفاطمية.

يشمل تخطيط، هذا المسجد أو المشهد شكل (١٥)، بيتًا للصلاة طول جدار القبلة فيه ١٢ مترًا ونصف المتر، ويتكون من أسكوب واحد، ينقسم إلى ثلاث مربعات، الوسطى منها تكوّن مربعًا، طول ضلعه خمسة أمتار، والأخريان مستطيلتان طول كل منهما خمسة أمتار، وعرضها قريب من ثلاثة. ويصل مربعة المحراب بالمربعتين المجاورتين فتحة، أو باب مفتوح من كل جانب؛ ويقوم على جانبي كل من هذين البابين عمودان متجاوران، يحملان طرفا من عتبته. ولكل من المربعات الثلاث محراب مجوف في جدار القبلة. وجوفة المحراب الأوسط أكثر عمقًا واتساعًا.

ووضع الضريح في مربعة المحراب حتى يكاد يملؤها، فلا يترك فيها غير مجال ضيق للمصلين[٢]. ولأسكوب المسجد هذا باب واحد مقابل للمحراب الأوسط، ويؤدي هذا الباب إلى رواق موازٍ لهذا الأسكوب، معادل له في المساحة طولاً، ولنصفه عرضًا. وفي هذا الرواق محرابان، يتوسط كل منهما الجزء من الجدار القائم بين الرواق وبين أسكوب المحراب، الأول إلى يمين باب هذا الأسكوب، والثاني إلى يساره.

وكان هذا الرواق يؤدي إلى صحن مكشوف ويطل عليه بائكة من ثلاثة عقود ترتكز في الوسط على عمودين مزدوجين، وفي كل من الجانبين، على دعامة ممتدة إلى كل من الجدارين الشرقي والغربي. وأغلب الظن أن مساحة هذا الصحن المكشوف كانت تعادل مساحة المسجد المسقوف، وأنه

---

(١) انظر تراجع صفحات ١٩٧ إلى ٢٠٦ من كتاب (فييت)، «مواد لموسوعة كتابات عربية»:

Wiet. Gaston, *Matériaux pour un Corpus Inscriptiorum Arabicorum*, ière Partie Egypte, Tome II, Egypte, Mémoires publiés par les Members de l'Institut Francais d'Archéologie Orientale du Caire, Tome LII, 1930.

وصور محراب السيدة رقية منشورة في كتاب (بوتي)، «الأخشاب المنحوتة»، اللوحات ٨٠ إلى ٨٨، ووصفها في صفحات ٦٧ إلى ٦٩.

(٢) يستدل من ذلك أنه لم يدخل في تصميم المسجد عند بنائه في سنة ٥٢٧هـ تدبير مكان لضريح وأن صفة المشهد أضيفت فيما بعد إلى المسجد.

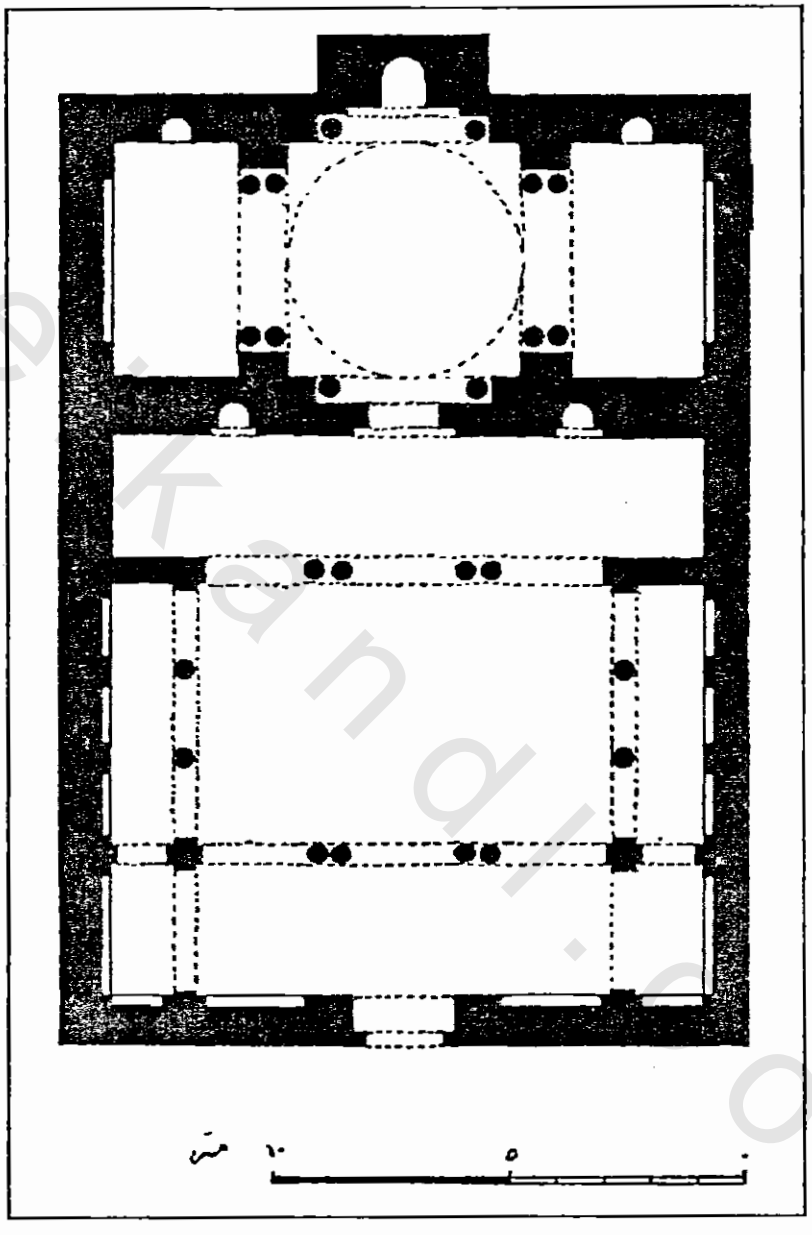

شكل (١٥) – رسم تخطيطى لمسجد السيدة رقية بعد تجديده حديثاً (عن مصلحة الآثار)

كان محاطا بجدران من الجهات الثلاث، الشرقية والشمالية والغربية، فلم تكن بها أروقة ولا مجنبات. أى إن المسجد جميعه كان منحصرًا فى مستطيل طوله ٢١ مترًا، شرقًا وغربًا، و ١٤,٥٠ مترًا، جنوبًا وشمالاً[١].

بنى مشهد السيدة رقية جميعه من الآجر، فيما عدًا أعمدة مقدم المسجد الستة عشر والتى يظهر منها فيه ست مجموعات من الأعمدة المزدوجة، يبلغ ارتفاعها ثلاثة أمتار. وهى أعمدة رخامية، صنعت بالقاهرة، وصنعت لها تيجان على هيئة الزهرية أو الناقوس، وقواعد على نفس الهيئة. وهذه القواعد وضعت فى اتجاه عكسى لاتجاه التيجان، لوحة رقم (٤٧). وكان لهذه التيجان حدارات من مكعبات خشبية.

أما العقود التى بهذا المشهد فتقتصر على الثلاثة المطلة من الرواق على الصحن، وهى مستحدثة على نظامها القديم، شكلها منفرج، ويبلغ ارتفاع قمتها عن أرضية المسجد خمسة أمتار ونصف المتر[٢].

ولم تستخدم العقود داخل أسكوب المحراب. وتتصل المربعات فيه بواسطة فتحة مرتفعة، شبيهة بباب من غير مصاريع، تتكون من إطار مستطيل من الجدار يرتكز طرفاه على عمودين مزدوجين من كل جانب، وترتفع عتبته إلى مستوى ارتفاع قمة عقود الرواق، وتتخذ الفتحة التى تصل مربعة المحراب بالرواق نفس الشكل المستطيل، ولكنها لا ترتفع إلى هذا المستوى. ويحف بهذه الفتحة عمودان، واحد من كل جانب. وهما يواجهان عمودين شبيهين يحفان بالمحراب الأوسط، لوحة رقم (٥٠ أ)، ويحملان الإطار المستطيل الذى يحيط بقسمه الأعلى.

وللمشهد خمسة محاريب ومجوفة، ثلاثة صفت فى جدار القبلة ويقع الاثنان الآخران فى الرواق، أمام العقدين الجانبيين المطلين عليه، لوحة رقم (٤٩). وأهم هذه المحاريب الخمسة هو المحراب الأوسط فى جدار القبلة، وهو محراب كبير، جوفته متر، وصدره ثلاثة أمتار، وارتفاعه خمسة ونصف، وقد كسى نصفه الأعلى بزخرفة جصية، شكل (١٦). وأغلب الظن أن مسطحات المحراب جميعها كانت مكسوة كذلك بالزخارف الجصية. ويتكون رأس المحراب الرئيسى من هيئة محارة شمسية، تنبثق ضلوعها من دائرة وسطى. وعدد هذه الضلوع ستة عشر ضلعًا، وتنتهى أطراف الضلوع على هيئة عقود منفرجة، تحيط بها حلقة من طاقات صغيرة عددها ثمانى عشرة طاقة،

---

(١) وذلك بالإضافة إلى بروز المحراب الخارجى فى جدار القبلة بمقدار متر ونصف.

(٢) هذه العقود مجددة، والظاهر أن أكتافها قد قوست ورؤوسها دببت بشكل لم تكن تبديه أصلاً. أما الأروقة التى تظهر فى شكل (١٣) محيطة بالصحن، شرقًا وغربًا وشمالاً، فهى وأعمدتها ودعاماتها وعقودها وجدرانها مستحدثة جميعًا.

وتحيط بها هى الأخرى حلقة ثانية من طاقات أكبر حجماً، عددها تسع طاقات. وتنحصر هذه الضلوع والطاقات فى إطار أول على هيئة عقد منفرج يحيط به إطار ثان مستطيل يتكون ضلعه الأعلى من إزارين، الأدنى منهما تمتد عليه نقوش كتابية من خط كوفى مزهر، والثانى تملؤه زخارف هندسية متشابكة، لوحة رقم (٥٠ أ).

ومحرابا الرواق صورتان مصغرتان لهذا المحراب من حيث تجويفهما ونظامهما وزخرفتهما، ولا يختلفان عنه فيما عدًا ذلك إلا من حيث إنه لا يتصدرهما عمودان مثله، لوحة رقم (٤٩). وأما المحرابان الجانبيان فى بيت الصلاة، فهما كذلك شبيهان بالمحرابين الأخيرين، إلا أن أطراف الإزار الكوفى فيهما تتدلى فى خطين رأسيين، على شكل إطار مستطيل، ثم يمتدان أفقيًا عن يمين كل محراب ويساره، لوحة رقم (٥٠ ب).

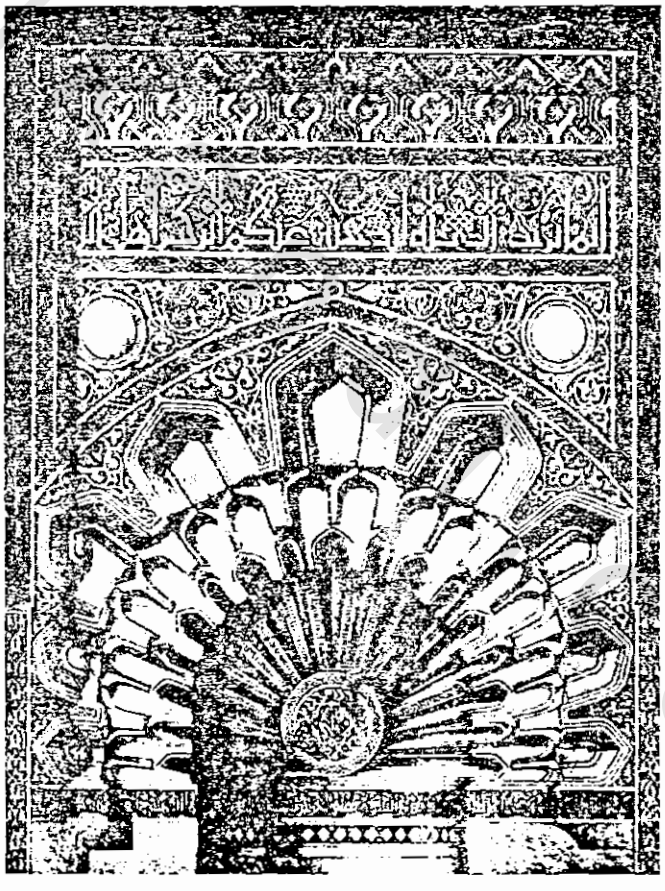

شكل (١٦) – الزخارف الجصية تحشو رأس المحراب الأوسط فى مسجد السيدة رقية

وقد شيدت قبة أمام المحراب الأوسط فوق الضريح الذى وضع فيه التابوت الخشبى الذى أشرت إليه، وقطر هذه القبة خمسة أمتار، لوحة (٤٧). وهى تقوم على قاعدة مربعة ارتفاعها خمسة أمتار ونصف المتر فوق أرضية المشهد. ويعلو هذه القاعدة طابق أول، فى كل ركن من أركانه مجموعة من المقرنصات تحول القاعدة المربعة إلى مثمن، لوحة رقم (٤٨). وتتكون هذه المجموعة من مقرنص أوسط مجوف، معقود بعقد منفرج مطول، يحيط به من كل جانب مقرنص مماثل، ولكنه مسطح. ويمتطى قمتى هذين المقرنصين الأخيرين مقرنص رابع مجوف، معقود كذلك بعقد منفرج مطول. أما منتصفات جدران هذا الطابق الأول من طوابق القبة، فقد فتحت فى كل منهما مجموعة من النوافذ، بين مجموعات المقرنص[1]. وتتكون هذه المجموعة من نافذتين متجاورتين معقودة كل منهما بعقد منفرج مطول. وتمتطى قمتهما نافذة مماثلة لهما، غير أن قاعدتها ليست مستقيمة، بل تتكون من طرفى مثلث، لكى تساير أطرافها كتفى النافذتين المتجاورتين. وهكذا تتشابه الحدود الخارجية لمجموعة المقرنصات فى الأركان، ومجموعة النوافذ، فى المنتصفات. وتتكون هذه الحدود من خط يرتفع رأسيا، ثم ينحنى بزاوية منفرجة، ثم يستقيم من جديد لينحنى مرة ثانية بزاوية منفرجة فيهبط بزاوية حادة، ثم يستقيم هبوطًا، فينحنى مرة أخرى بزاوية منفرجة فيستقيم هبوطًا مرة ثانية ليستقر على القاعدة الأفقية.

وتعلو هذا الطابق رقبة القبة أو طابقها الثانى. وهو مثمن، فتحت فى أضلاعه مجموعة من النوافذ، نافذتان فى كل ضلع، فجملتها ست عشرة نافذة، لوحة رقم (٥٩ أ). وترسم حدود هذه النوافذ شكلا زخرفيًا غريبًا، على هيئة قنديل، أو مشكاة.

وأخيرًا تتوج القبة الكروية هذا البناء، وتكون منه الطابق الأخير، وهى تتكون من أربعة وعشرين ضلعا: تتفرع حول قمتها. وهذه الضلوع مجوفة من الداخل، مقوسة من الخارج. ويدور حول الطابق الثانى جميعه، فى داخل القبة، تحت هذه الضلوع، وفوق رؤوس النوافذ، إزار من كتابة كوفية، فيها سجل لتاريخ المسجد[2].

---

(١) سدت فتحات هذه النوافذ فيما بعد.

(٢) انظر ما قبل.

٤

مسجد الصالح طلائع

«هذا الجامع من المواضع التى عمرت فى زمن الخلفاء الفاطميين، وهو خارج باب زويلة. قال ابن عبد الظاهر: كان الصالح طلائع بن رزيك – لما خيف على مشهد الإمام الحسين رضى الله عنه، إذ كان بعسقلان، من هجمة الفرنج وعزم على نقله – قد بنى هذا الجامع ليدفنه به، فلما فرغ منه لم يمكنه الخليفة من ذلك، وقال لا يكون إلا داخل القصور الزاهرة، وبنى المشهد الموجود الآن ودفن به»[(١)].

ويجرى على واجهة المسجد الشمالية إزار نقش فيه بالخط الكوفى ما نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم أمر بانشاء هذا المسجد (بالقا) هرة المعزية المحروسة فتى مولانا وسيدنا الإمام عيسى أبى القاسم الفائز بنصر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين و (أبنائه الأكرمين ال) سيد (الأجل) الملك الصالح ناصر الأئمة وكاشف الغمة أمير الجيوش سيف الإسلام غياث الأنام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين (أبو) الغا (را) ت طلائع الفائزى عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته ونصر ألويته وفتح له وعلى يديه مشارق الأرض ومغاربها فى شهور سنة خمس وخمسين وخمسمائة والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب أفضل الوصيين».

وتم بناء المسجد فى تلك السنة ١١٦٠م، ولكنه لم يصبح جامعاً إلا بعد ذلك بمائة سنة، إذ أقيمت أول صلاة للجمعة فيه، أيام المعز أيبك التركمانى، أول سلاطين المماليك، «فى سنة بضع وخمسين وستمائة» / ١٢٥٢م[(٢)].

ولم ينج مسجد الصالح طلائع من زلزال سنة ٧٠٢هـ، فتهدم، وتولى «الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار» تعميره وتجديده[(٣)]. وكان هذا الأمير قد وهب للمسجد منبرًا بديعًا، قبل ذلك بثلاث سنوات، ومازال هذا المنبر يحمل نقشا يسجل اسم صاحبه هذا، وتاريخه ٦٩٩هـ / ١٣٠٠م.

---

(١) انظر المقريزى، «الخطط»، الجزء الثانى، صفحة ٢٩٣. وكان مسجد الصالح طلائع – وهو خارج باب زويلة – يقع خارج حدود القاهرة، وبعيدًا عن القصور «الزاهرة». أما الخليفة المشار إليه فى هذه الفقرة فهو «الفائز بنصر الله» الذى تولى الخلافة من سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م إلى سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م.

(٢) انظر المقريزى، «الخطط»، الجزء الثانى، صفحة ٢٩٣.

(٣) انظر المقريزى، شرحه.

وجدد المسجد بعد ذلك مرة فى سنة ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م، ومرة أخرى سنة ٨٨٢هـ / ١٤٧٧م[١]، وفى «الخطط التوفيقية الجديدة»، أن المسجد كان فى عهد مؤلفها، أى فى أواخر القرن التاسع عشر، «من المساجد الشهيرة، ولم تزل شعائره مقامة بالجمعة والجماعة... ومحرابه من أعظم المحاريب، وأعمدته من الرخام وبه عمود من حجر السماق، وبه منبر عظيم. ودكة للتبليغ...»، وأنه كان بوسط صحنه «حنفية رصهريج وميضأة ونخلات»[٢].

وأصاب المسجد خلل كبير بعد ذلك، فتوقفت الصلاة به، واحتله الأهالى، وأقاموا من حوله المبانى والحوانيت، وساءت حاله، لوحة رقم (٥٢)، إلى حد أن تقرر هدمه، فيما عدا بيت الصلاة، وأعيد بناؤه جميعًا من جديد، منذ سنوات قليلة، على نظامه القديم، لوحة رقم (٥٧).

وقد أكدت الأبحاث التى أجريت فى المسجد أثناء عمليات هدمه وإعادة بنائه أن بعضه كان مقامًا على أبنية طابق تحت سطح الأرض، وكانت هذه الأبنية تستخدم مخازن وحوانيت وترصد غلتها لإصلاح الجامع. وهى مسقوفة بقبوات أسطوانية مبنية من الحجارة، وكان ارتفاعها يقرب من أربعة أمتار. ولهذا فإنه كان يذكر أن مسجد الصالح طلائع كان مسجدًا «معلقًا»، أى إنه يعلو مبانى شيدت أسفله، وهو الأول من هذا النوع فى عمارة القاهرة[٣]. وقد لوحظ أن هذه الحوانيت كانت تمتد تحت مؤخر المسجد وتحت مجنبته الشرقية.

ينحصر تخطيط مسجد الصالح طلائع، شكل (١٧)، فى مستطيل منتظم الأضلاع تقريباً، تبلغ مقاساته خارج الجدران ٥٣ مترا ونصف المتر طولاً، و ٢٧ مترًا عرضًا، أى إن طوله ضعف عرضه. وفيه بيت للصلاة طول جدار القبلة فيه ٢٦ مترًا، ويمتد جوفه نصف هذا القدر تقريباً، ١٣ مترًا ونصف المتر. ويتكون هذا البيت من ثلاثة أساكيب، أسكوب المحراب فيها أكثرها اتساعًا، إذ يبلغ عرضه ٥ أمتار ونصف المتر. أما الأسكوبان الآخران فعرض كل منهما ٣ أمتار ونصف المتر. ويحد هذه الأساكيب ثلاث بوائك تمتد عقودها موازية لجدار القبلة. ويكل منها بائكة من سبعة عقود، يحملها صف من ستة أعمدة، أى إن هذه الأساكيب الثلاثة تنقسم نظريًا إلى سبع بلاطات،

---

(١) أبوالمحاسن، «النجوم الزاهرة»، الجزء السابع، صفحة ١١٨؛ وصفحة ٢٧٤ من الجزء العاشر من كتاب «الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع» لمؤلفه السخاوى (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن المتوفى سنة ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م، ١٢ جزءًا، مكتبة القدسى، القاهرة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٥م.

(٢) انظر (على) مبارك، «الخطط التوفيقية»، الجزء الخامس، صفحة ٣٨.

(٣) يلاحظ أن المساجد المعلقة كانت معروفة فى الإسلام قبل العصر الفاطمى وأن السنة تبيح إقامة المساجد فوق الأبنية، ولا تجيز إقامة الأبنية فوق المساجد. ومن المساجد المعلقة مسجدا الرباط فى سوسه والمنستر بتونس وهما من آثار القرن الثالث الهجرى.

إذ إن أسكوب المحراب متصل لا ينقسم إلى مربعات مثل الأسكوبين الآخرين. وترتكز كل بائكة، فى كل من طرفيها على دعامة نحيفة ملتصقة بالجدار. والعقد الوسيط فى كل بائكة أكثر فسحة من بقية العقود[1].

وينتصف المحراب جدار القبلة. وهو محراب مجوف عرضه متران، وجوفته متر ونصف المتر تقريبًا، ويحف به، أو على الأصح، يتصدره عمودان، واحد من كل جانب. ويطل بيت الصلاة على الصحن ببائكة من خمسة عقود. والصحن مستطيل غير منتظم الأضلاع تمامًا، طوله ٢٣ مترًا و ٤٠ سنتيمترًا، وعرضه عند بيت الصلاة ١٨ مترًا، وعند مؤخر المسجد ١٨ مترًا و ٧٠ سنتيمترًا وكان يحيط بهذا الصحن من جهاته الثلاث مجنبات بكل منها رواق واحد، تطل الشرقية والغربية منها عليه ببائكة من ستة عقود، ويطل عليه المؤخر، مثل بيت الصلاة ببائكة من خمسة. وكان البعض يظن أنه لم يكن للمسجد أصلاً مجنبة فى مؤخره، وأنها أضيفت إليه عند تجديد المسجد منذ سنوات[2].

ويتصل الفاصل الوسيط من رواق المؤخر بممر مسقوف بقبوة أسطوانية، طوله أربعة أمتار ربع المتر وعرضه ثلاثة أمتار وربع المتر. ويؤدى هذا الممر إلى صحن ثان خارجى مسقوف طوله ١٨ مترًا ونصف وعرضه ٤ أمتار و ٢٠ سنتيمترًا. ولهذا الصحن واجهة تطل على الشارع بخمسة عقود ترتكز على أربعة أعمدة. وقد أقيمت فى كل من طرفى هذا الصحن المسقوف، وفيما بينه وبين مؤخر المسجد، ثلاث غرف متصلة، كما أقيمت مرقاتان، أو سلّمان، واحد عن يمين الممر الذى يصل الصحن المسقوف بمؤخر المسجد، والآخر عن يساره.

---

(١) فتحة هذا العقد ٤.٦٠ مترًا وفتحة كل من العقود الأخرى ٣.٦٠ مترًا.

(٢) يستند هذا البعض على المنطق المعمارى «الحديث»، ويفترض أنه لم يكن للصحن رواق فى مؤخره لأن البابين المفتوحين على هذا الصحن، من شرقيه ومن غربيه، كان يجب أن يقعا فى مستوى يجتازه إلى هذا البيت، ولهذا يستحسن أن يكون للصحن مجنبات من جميع جهاته. ولم تكن العمارة الإسلامية تعمل حسابًا للمحور، بالمعنى المعمارى الحديث، سواء فى صحن المسجد أم فى بيت صلاته، ما لم يكن هذا المحور مسايرًا لمقتضيات بناء المسجد. هذا هو رأى المؤلف، الذى أوضحه فى «المدخل». هذا وقد دارت مناقشات طويلة حول رواق المؤخر فى مسجد الصالح طلائع، انظر مقال (بوتى) عن «تخطيط مسجد الصالح طلائع»:

Pauty, Edmond, *Le Plan de La Mosquée d'as Salih Talâyi*, Bulletin de la Société Royale de Géographie, Tome XVII.

ومحاضر لجنة حفظ الآثار العربية، النسخة الفرنسية، سنة ١٩٣٠م — ١٩٣٢م، صفحة ١٠٣ إلى ١١٧، وانظر صفحات ٢٨١ إلى ٢٨٣ من الجزء الأول من كتاب (كريسويل)، «العمارة الإسلامية فى مصر».

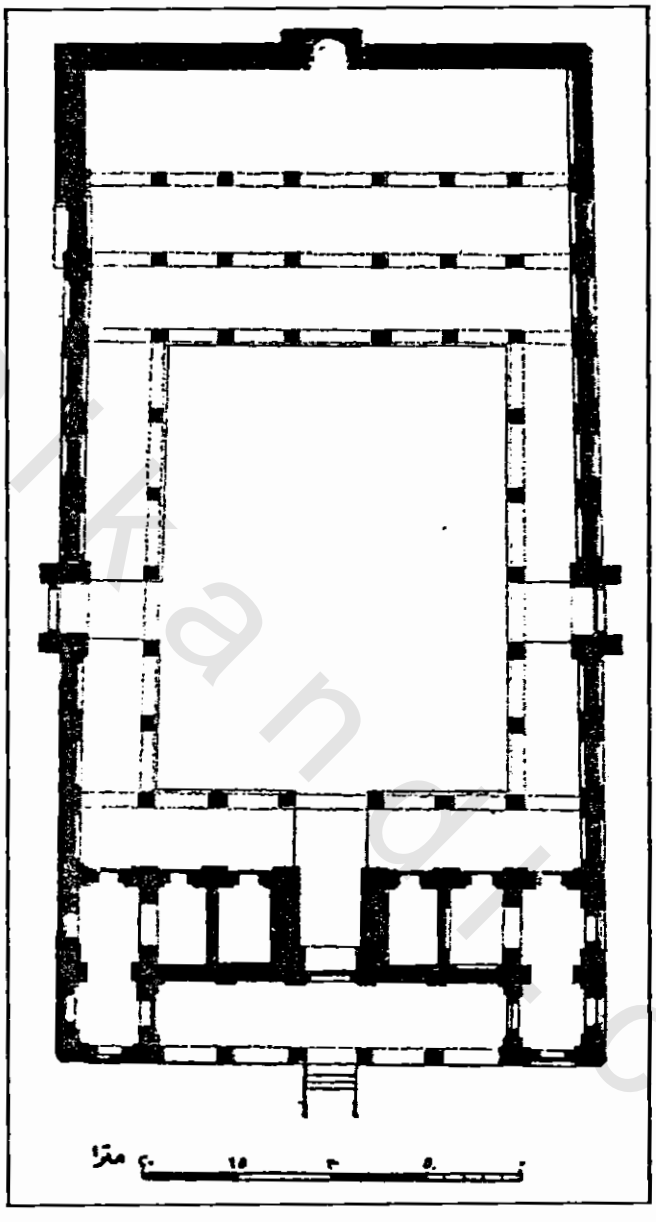

شكل (١٧) — رسم تخطيطى لمسجد الصالح طلائع بن رزيك عند إنشائه فى سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م — (من رسم المؤلف)

obeikandl.com

وللمسجد ثلاثة مداخل، أحدها فى مؤخره يتوسط الصحن المسقوف الأمامى، والثانى مفتوح فى الواجهة الشرقية، يقابل الفاصل الرابع من رواق المجنبة، ويواجه المدخل الثالث المفتوح فى الواجهة الغربية.

وبالرغم من أن مسجد الصالح طلائع كان قد تهدم معظمه، لوحة رقم (٥١) وأعيد بناؤه فى النصف الأول من القرن العشرين[١]، فقد تبقى من آثار عمارته القديمة أجزاء كثيرة يستدل منها فى ثقة تامة عن جميع عناصره المعمارية والزخرفية. وقد رأينا أن عقود بيت الصلاة قد صفت موازية لجدار القبلة. وترتكز هذه العقود، لوحة رقم (٥٤)، وكذلك عقود أروقة الصحن، لوحة رقم (٤١)، على أعمدة رخامية، وضعت تحتها قواعد من مكعبات حجرية يبلغ ارتفاعها نصف متر تقريبًا، ووضعت فوقها تيجان قديمة. واختيرت العمد طويلة، بحيث يبلغ متوسط ارتفاعها أربعة أمتار بالإضافة إلى ارتفاع القاعدة والتاج. وقد وضعت فوق تيجان الأعمدة، طنف أو طبليات خشبية من ثلاثة طبقات، مزخرفة بزخارف منحوتة[٢]، لوحة رقم (٦٩).

وامتطت العقود هذه العمد، وهى عقود منفرجة مطولة الأطراف، لوحة رقم (٥٥)، بحيث يزيد ارتفاع فتحاتها على خمسة أمتار. فأصبحت قمة العقود ترتفع عن أرضية المسجد عشرة أمتار ونصف المتر. ويحيط بهذه العقود إطار من كتابة كوفية، فيها آيات من القرآن الكريم، وتربط العقود بجاراتها أوتار خشبية، لوحة رقم (٥٤)، تمتد فى مستوى الطنف، موازية للأساكيب ومتعارضة معها، أى إنه يخرج من كل طرف من أطراف العقود أربعة أوتار خشبية. وقد حليت الجوانب الظاهرة من هذه الأوتار بزخارف منوعة. ويتوسط تواشيح العقود فى بيت الصلاة، صرر زخرفية، صرة واحدة فيما بين كل عقدين، لوحة رقم (٥٨)، كما يعلو قمة العقد نافذة مربعة محاطة بإطار زخرفى، لوحة رقم (٥٥).

---

(١) طغى المستحدث على القديم فى تجديد بناء المسجد، غير أن القديم فيه مازال يتميز عن الجديد. ويمكن الرجوع إلى محاضر لجنة حفظ الآثار العربية المشار إليها فى الحاشية السابقة لمعرفة تفاصيل أعمال التجديد. وعلى كل حال فقد جدد المسجد على نظامه القديم، ولم يستحدث فيه شىء واحتفظ بعناصره الأولى.

محور، تبعًا لهذا المنطق، ونتيجة ذلك كان يجب أن تطل على الصحن ثلاثة عقود، عن كل من يمين عقد الباب ويساره، فى شرقى الصحن وغربيه، أما منطق العمارة الإسلامية فيقتضى أن يكون رواق الصحن متصلاً، بمعنى أن الداخل إلى بيت الصلاة، من أى باب من أبواب المسجد الثلاثة، يجد ممرًا مسقوفًا.

(٢) يلاحظ أن الأعمدة طويلة، وأن لها قواعد مرتفعة. فلم تكن هناك حاجة إلى هذه الحدارات، خصوصًا وأن العقود مطولة أطرافها تطويلاً كبيرًا نسبيًا، ولكن الحدارات وضعت هنا تذكارًا للتقاليد العربية فى البناء، ولهذا فقد اتخذت فى مسجد الصالح طلائع وظيفة زخرفية أكثر منها معمارية.

أما على واجهات الصحن، لوحة رقم (٤٢)، فقد احتل كل توشيح من تواشيح العقود طاقة صماء محارية على هيئة محراب، ووضعت فوق قمة كل عقد دائرة شمسية. عوضًا عن النافذة المربعة.

ويحيط ببيت الصلاة والمجنبات جدار شيّد من الداخل بالآجر وبنى من الخارج بالحجارة. وفتحت فى هذا الجدار نوافذ، ترتفع قواعدها خمسة أمتار ونصف المتر عن أرضية المسجد. وكان عدد النوافذ الداخلية خمسا وعشرين نافذة، سبعا منها مفتوحة فى جدار القبلة، وتسعا فى الجدار الشرقى، على بيت الصلاة والرواق الشرقى، ومثلها فى الجهة الغربية. ويستدل من النوافذ العتيقة فى بيت الصلاة، أنها كانت جميعًا معقودة بعقود مدببة يحيط بكل منها إطار من عقد منفرج محلى بكتابة كوفية مزهّرة. أما النافذة التى تعلو المحراب فالإطار الذى يحيط بعقدها مستطيل، لوحة رقم (٥٦). وكانت هذه النوافذ مكسوة بستائر جصية مخرمة تخريمًا زخرفيًا، ويحتفظ المتحف الإسلامى بأنموذج من هذه النوافذ. وكانت هذه الستائر مزدوجة، تتدلى على جانبى النافذة، داخل المسجد وخارجه.

ومحراب المسجد مجوف، كما رأينا، وينتهى رأسه بعقد منفرج يحيط به إطار من الكتابات الكوفية، لوحة رقم (٥٦)، وكانت تكسو تجويفه زخارف لم تعد تظهر منها المعالم الفاطمية[١]. وكانت سُقُفُ بيت الصلاة والمجنبات الصحن الخارجى خشبية محلاة بالزخارف المنقوشة.

هذه هى عناصر عمارة المسجد الداخلية، أما العناصر الخارجية فإنها كانت تمتاز قبل كل شىء بالعناية الفائقة التى خص بها البناة واجهاته الثلاث. فقد قسمت هذه الواجهات إلى أقسام تعادل، أو تقابل، الأقسام الداخلية للمسجد، وذلك فيما عدا جدار القبلة، فلم يظهر على واجهته الخارجية غير البروز الناتج من تجويف المحراب.

وكانت الواجهة الشرقية تنقسم إلى اثنى عشر قسمًا رأسيًا. تقابل التقسيم الداخلى[٢]. وأعتقد أن القسم الذى كان يقابل أسكوب المحراب، كان يقتصر على بروز خارجى مسطح، يمتد عليه فى منتصف ارتفاعه إزار من الكتابة الكوفية. أما بقية الأقسام الأحد عشر، فكانت تتوسطها بوابة بارزة، خارجة عن حدود الجدار، فيها باب مستطيل تعلوه عتبة أفقية من صنج معشقة[٣] يعلوها

---

(١) فتحت نافذة مستطيلة فيما بين رأس المحراب والنافذة المجاورة له، فوق الموضع المخصص لظهر المنبر، ويظن البعض أن هذه النافذة كانت تستخدم «ملقفًا»، يرطب الهواء على الخطيب، ولعل القصد منها كان إمداده بالضوء الذى يعينه على قراءة الخطبة فى النهار.

(٢) يتكون التقسيم الداخلى من ١٢ قسمًا رأسيًا كذلك: ٣ تمثل أساكيب بيت الصلاة و ٦ تمثل فواصل رواق المجنبة الشرقية، وقسم يمثل رواق المؤخر، وقسمان كل منهما يقابل قاعة من قاعتى الصحف المسقوف الأمامى.

(٣) مقاس الباب المستطيل ٤.٣٠ متر ارتفاعًا، ٢.٢٠ متر عرضا.

عقد منبطح من صنج معشقة كذلك[1]. ويحد الطرف الأعلى لهذا العقد إزار من كتابة كوفية، وتملأ الزخارف المنحوتة الفراغ القائم بين العقد وبين العتبة. ويتوج المدخل بضعة من العقود المنفرجة المتراجعة.

وكان يقوم عن كل من يمين هذا المدخل ويساره صف من خمسة أقسام رأسية تتكون من تجاويف فى الجدار. وتنقسم كل من هذه التجاويف إلى ثلاثة أقسام أفقية، أو طوابق. ويتكون الطابق العلوى منها من نافذة وسطى مستطيلة يتوجها عقد منفرج، ويلتف حولها إطار من شريط زخرفى، ويحيط بها عقد خارجى فى مستوى الجدار، وهو منفرج كذلك. ويدور حول هذا العقد إزار زخرفى، أو شريط، يمتد طرفاه أفقيًا، ثم يرقى حول العقد المجاور، ويلتف بهذه الصورة حول الواجهات الثلاث، لوحة رقم (٥٧). وكانت تتدلى على هذه النوافذ ستائر جصية من زخرفة مخرمة، اندثرت جميعًا، فيما عدا النافذة التى يحتفظ بها المتحف الإسلامى بالقاهرة. وحليت تواشيح العقود بجامات تنحصر فى دوائرها صرر من نجوم مختلفة الأشكال. وينحصر الطابق الأوسط بين إزارين أفقيين من الكتابة الكوفية يمتدان حول الواجهات الثلاث كلها. ويبدو أنه فيما عدا هذين الإزارين كان الطابقان الأوسط والأدنى خلوين من الزخرفة[2].

وأغلب الظن أن الواجهة الغربية كانت تطابق الواجهة الشرقية، تخطيطًا وبناءً وزخرفة.

أما الواجهة الشمالية، لوحة رقم (٥٧) فقد أراد المنشىء، أو البنّاء، أن يجعل منها الواجهة الرئيسية للمسجد. وقد قسمت إلى سبعة أقسام رأسية، خمسة منها مفتوحة على الصحن المسقوف، وقسم فى كل طرف منها يواجه غرفه من الغرفتين المتطرفتين فى هذا الصحن.

والأقسام الخمسة الوسطى عبارة عن واجهة مكشوفة على الشارع تتكون من خمسة عقود منفرجة تمتطى أربعة أعمدة. على هيئة شبيهة بواجهات الصحن. غير أن قواعد الأعمدة فى تلك الواجهة

---

(١) انظر الحاشية رقم (٢)، فيما سبق عن تفسير معنى العقد المنبطح.

(٢) وذلك فيما عدا التجويفين الثانى والرابع عن يسار المدخل، والتجاويف الثانى والرابع والخامس عن يمينه. أما التجاويف الثلاثة الأولى، أى الثانى والرابع عن اليسار والثانى عن اليمين، فكان الطابق الأدنى منها يتشكل على هيئة باب مغلق، تعلوه عتبة أفقية من صنج ممشقة، يعلوها عقد منبطح على الشكل الواضح فى مدخل الواجهة. وأما التجويفان المتطرفان عن يمين المدخل، وهما اللذان يقابلان القاعتين المفتوحتين فى طرف مؤخر المسجد، فإن الطابق الأدنى منهما يتكون، على هيئة المدخل والأبواب المغلقة، من نافذة مستطيلة تعلوها عتبة، وعقد منبطح. وقد حلت هاتان النافذتان محل النافذتين المفتوحتين فى الطابق الأعلى من التجاويف، وسد بعضهما بالحجارة. ويتميز القسم الأوسط من التجويف الرابع، دون بقية التجاويف الأحد عشر، بوجود نافذة مربعة فى وسطه. يلتف حولها إطار مربع من شريط زخرفى، شبيه بالإطارات التى تحيط بالنوافذ فى الطابق الأعلى من التجاويف.

أكثر ارتفاعًا من قواعد الأعمدة داخل المسجد كما أن أطراف العقود أقل طولاً منها فى الداخل. واقتصرت زخرفة تواشيح العقود على صرر وجامات، وحذفت أشكال المحاريب التى تشاهد على واجهات الصحن. وارتبطت أطراف العقود بأوتار خشبية مزخرفة، وامتدت زخرفتها على أوتار خشبية التصقت بأطراف العقدين المتطرفين، فى أقصى اليمين وأقصى اليسار من هذه الواجهة. كما أنه أحاط بالعقود إزار زخرفى، هو امتداد للشريط الزخرفى الذى يدور حول الواجهتين الشرقية والغربية[1].

ويتكوّن كل من القسمين المتطرفين من الواجهة الشمالية، من ثلاثة طوابق، لوحة رقم (٥٣). يتكون الطابق الأدنى منها من نافذة مستطيلة، عرضها متر ونصف المتر وارتفاعها يقرب من ضعف ذلك. وتعلوها عتبة من صنج معشقة، يمتد فوقها عقد منبطح من صنج معشقة كذلك ويحيط به إزار زخرفى. ويملأ الفراغ فيما بين العقد والعتبة زخرفة مفرغة فى الحجارة على صورة مشكاة. ويخلو الطابق الأوسط من الزخارف، فيما عدا الإزارين المنقوشين بالكتابة الكوفية، وهما امتداد للإزارين الأفقيين اللذين يحصران الطابق الأوسط فى كل من الواجهتين الشرقية والغربية.

أما الطابق الأعلى من كل من هذين القسمين المتطرفين من الواجهة الشمالية فتتوسطه محارة شمسية كبيرة، تشع ضلوعها حول صرة زخرفية وسطى، وتنتهى هذه الضلوع بفصوص محصورة فى عقد منفرج يحيط به الشريط الزخرفى الذى يحيط بالعقود المكشوفة على الواجهة نفسها. ويمتد هذا الشريط من طرفى هاتين المحارتين، ويتصل من ناحية بالواجهة الشرقية ومن الناحية الأخرى بالواجهة الغربية. ويحف بعقدى المحارتين جامة زخرفية فى كل من توشيحتيهما.

وقد روعى أن تكون زخرفة جدران الصحن المسقوف وتقاسيمه الداخلية شبيهة بزخرفة الواجهات، لوحة رقم (٥٣). وقد قسمت هذه الجدران إلى خمسة أقسام رأسية تقابل العقود الخمسة المكشوفة على الواجهة. وبطرفيها قسمان يقابل كل منهما الجدار البارز فى الصحن المسقوف لكل قاعة من القاعتين المتطرفتين. وينقسم كل قسم من هذه الأقسام السبعة إلى ثلاثة طوابق على نفس نظام تقاسيم الواجهات. ويحتل الطابق الأعلى فى كل قسم منها لوحة محارية تنحصر فى عقد منفرج مضلع، وذلك فيما عدا القسم الأوسط. وبدلاً من أن تشع هذه الضلوع من صرة زخرفية وسطى، فإنها تتفرع حول طاقة صماء معقودة بعقد منفرج. ويحيط بها إطار زخرفى. أما القسمان المتطرفان البارزان، وهما واجهتا القاعتين على الصحن المسقوف، فقد فتحت فى الطابق الأدنى من كل منهما نافذة مماثلة للنافذة المفتوحة على جدارى هاتين القاعتين فى الواجهة الشمالية الرئيسية.

---

(١) تجدر الإشارة إلى أن الأقسام الخمسة هذه من الواجهة الشمالية قد جددت جديعاً.

وليس فى الأقسام الأخرى من واجهة هذا الصحن المسقوف نوافذ مثلها. ويحيط بطوابق هذه الأقسام السبعة نفس العناصر الزخرفية الممتدة حول الواجهات الثلاث، وهى الشريط الزخرفى والإزارين المنقوشين بالكتابة الكوفية. وبينما سجلت آيات من القرآن الكريم على هذين الإزارين فإن تاريخ المسجد مسجل على واجهة الصحن المسقوف.

ويحتل مدخل المسجد القسم الأوسط من هذه الواجهة، وقد شكل على نظام مدخل الواجهة الشرقية، وكان لهذا المدخل باب خشبى من مصراعين بديعى الصناعة، وهما محفوظان الآن فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة[1]. ويصل هذا المدخل بمؤخر المسجد ممر مسقوف بقبوة مرتفعة أسطوانية مبنية من الحجارة. وكان يعلو هذه القبوة مئذنة سقطت فى سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٣م. وبنيت أخرى عوضا عنها، ولكنها سقطت فى سنة ١٩٢٣م أثناء تجديد بناء المسجد.

وكانت أرضية المسجد المقامة فوق الحوانيت، تعلو مترا عن مستوى الشارع. وترتفع جدران المسجد حوالى خمسة عشر مترا فوق هذه الأرضية، وكان يعلو هذه الجدران سلسلة متصلة من الشرفات تتكون من طابقين، طابق مسطح ارتفاعه متر، وطابق هرمى مدرج ارتفاعه متر كذلك.

تنوعت الزخارف فى مسجد الصالح طلائع تنوعاً كبيرًا وامتلأت بها مسطحاته الداخلية والخارجية.

وقد رأينا أن النوافذ والعقود محاطة بإطارات وإزارات شكل بعضها من زخارف هندسية متشابكة ومتداخلة، لوحة (٥٦)، وشكل معظمها من كتابة كوفية مورقة، سجلت عليها آيات من القرآن الكريم. وامتدت حول الواجهات الثلاث، حول عقود بيت الصلاة ونوافذه، نقوش كتابية كوفية، كما كانت هذه النقوش تملأ ستائر هذه النوافذ. وسنعود إلى التحدث عن زخرفة هذه الكتابة وتشكيل حروفها.

وامتلأت أقسام أخرى من المسجد بزخارف نباتية، نقشت على الحدارات، تحت أطراف العقود، لوحة رقم (٦٩)، وعلى الأوتار الخشبية التى تربطها. وعلى مصراعى باب الصحن المسقوف، وعلى الشرفات الهرمية، وعلى ستائر النوافذ. وعناصر هذه الزخرفة مشتقة من فروع مورقة بوريقات ثلاثية أو خماسية الشحمات، مستقيمة أو مقوسة، متعرجة أو متهادية، منفردة أو متشابكة. وأبدع هذه الأشكال جميعًا وأكثرها تنوعًا منقوش على مصراعى الباب، وعلى الإطار الزخرفى المنقوش على الجص على جدار القبلة خلف موضع المنبر، لوحة رقم (٥٦).

---

(١) وصف الأستاذ (بوتى) هذا الباب الخشبى البديع وصفًا ملخصًا فى صفحتى ٦٩ و ٧٠ من كتاب «الأخشاب المنحوتة إلى العصر الأيوبى» من مطبوعات متحف الفن الإسلامى ونشر صورتين له فى لوحتى ٨٩، ٩٠.

وقد عنى بصف الحجارة على واجهات المسجد عناية فائقة تزيد من جمال زخرفته. ومما يؤكد هذا الاتجاه الزخرفى كثرة العتبات والعوارض والعقود المنبطحة التى صفت فيها الحجارة من صنج معشقة منوعة الأشكال. حتى لبست الواجهات كسوة مزركشة، تتوجها تلك اللوحات المضلعة على هيئة المحارات الشمسية مختلفة الصور.

ولعل السرر، أو الصرر، هى أكثر العناصر الزخرفية التى يمتاز بها مسجد الصالح طلائع. وكان منها فيه أكثر من مائة عدًّا، اختلفت أشكالها وتنوعت حشواتها رَسْمًا وتنسيقًا وزخرفة. وكان الناظر يلقى جملة منها أينما اتجه نظره فى المسجد، داخله أو خارجه. ولاشك فى أن هذه الصرر كانت مجموعة فريدة فى آثار القاهرة، بل فى الآثار الإسلامية كلها. وقد تبقى بعضها فى حالة واضحة، لوحة رقم (٥٨)، واختفت معالم البعض الآخر، واندثر عدد كبير منها ووضعت موضعه صرر جديدة.

وتتكون زخرفة هذه الصرر من شريط مستدير خارجى، امتدت عليه زخارف نباتية أو هندسية. وتتوسط الصرة فى مركزها دائرة أخرى، تصغر أو تكبر، وتتشكل بأشكال هندسية متداخلة، أو تملؤها كرة بارزة، ويقع فيما بين الدائرتين إطار جدائرى مضلع، تنوعت أشكال ضلوعه، فهى تارة على هيئة محارة، وتارة على هيئة الفصوص، أو على هيئة الدائرة المقصوصة، وهى تارة مجوفة، وتارة مسطحة وتارة بارزة.

كان مسجد الصالح طلائع آخر مسجد أقيم فى القاهرة فى العصر الفاطمى. وقد ظهرت فى هذا المسجد عناصر تخطيطية وأخرى معمارية وزخرفية تعبر أصدق تعبير عن نهاية مراحل تطور هذه العناصر. وبداية مرحلة جديدة.

ولهذا يجدر بنا قبل أن نستعرض آثار القاهرة فى العصر التالى، العصر الأيوبى، أن نحاول استخراج التعبيرات الفنية التى اتبعها رجال البناء والنقش والزخرفة فى العصر الفاطمى، ونبحث عن خصائصها ومميزاتها وعن مدى اتصالها بالعصور السابقة، وأثرها فى العصور التالية.

□□□